بـدع التفاسيـر
في
كشاف الزمخشري

(دراسة تحليلية)

إعداد الدكتور / محمد طه علام
مدرس الدراسات الإسلامية
قسم اللغة العربية
كلية الآداب جامعة بورسعيد

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن القرآن الكريم شريعة الله في أرضه وحجته على خلقه ، فمن هديه ينهلون، وإليه يتحاكمون ، ومن ثم فإنه يستوجب على مفسره أن يتحرى الدقة في تأويله حتى لا يكون في تفسيره تحريف لكلام الله تعالى وتبديل أو تغيير لمعانيه ، وألا يخالف ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير الآيات ، وأن يتبع تفسير الصحابة أو التابعين إذا كان مستنداً إلى ذكر سبب النزول ؛ لأنه في حكم المرفوع ، وأن يفسر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت النزول ، وليست بمعانٍ مستحدثة أو حديثة بعد التنزيل ، وأن يكون تفسيره في حدود قواعد اللغة العربية وأساليبها المعهودة لهم ، وأن يتجنب تفسير ألفاظ القرآن الكريم باللغات الغريبة التي لا عهد للعرب بها ، فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١).

والإمام الزمخشري من قدامى المفسرين لكتاب الله ، ويعد كتابه (الكشاف) من أشهر كتب التفسير التي اعتمد عليها المفسرون من بعده حتى إنهم نقلوا عنه بعض آرائه وأقواله وضمنوها مصنفاتهم.

بيد أنه قد استوقفني ما أورده في كشافه من تخطئة لأقوال السابقين عليه في تأويلهم لآي القرآن العظيم معبرًا عنها بقوله: (من بدع التفاسير) في إشارة منه واضحة إلى ضعف هذه الأقوال واستبعادها من جملة الآراء التي تحتملها الآيات .

ومن ثمّ كانت الرغبة في تناول تلك المواضع ودراستها دراسة متأنية للوقوف على حقيقة تلك الأقوال وما تحتمله تلك الآيات من أوجه وتأويلات؛ فالقرآن الكريم حمّال ذو وجوه وذلك من أجل الوقوف على التفسير الصحيح لها ، ومعرفة ما إذا كان الإمام الزمخشري مصيباً في حكمه عليها أو أنه قد جانبه الصواب في ذلك .

وعلى الرغم مما في هذا الموضوع من صعاب تتثني الهمم ، وتلوي العزائم ، وعلى رأسها الخشية من الخوض في تفسير آيات القرآن الكريم والوقوع في زلل ، فضلاً عن قلة الأبحاث المتصلة بهذا الموضوع ، فلا أعلم أحداً تناول هذا الموضوع من قبل سوى الشيخ أبي عبد الله الغماري الذي ألف كتاباً في بدع التفاسير تضمن أمثلة ونماذج من تلك البدع دون أن يخص تفسيراً بعينه (*) ، إلا أنني أزمعت الخوض فيه معتمدًا على الله سبحانه وتعالى ومستمدًا العون منه ،

ولقد بني هذا البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة بنتائج البحث .

أما المقدمة وهي دستور البحث فقد أوضحت فيها أسباب اختياري هذا الموضوع ومنهجي في البحث وما واجهني من صعوبات

وأما التمهيد فقد خصصته لدراسة معنى البدعة في اللغة وفي الاصطلاح وخاصة عند الإمام الزمخشري .

وأما المباحث فقد جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول: ما جاء ظاهره مخالفاً للسياق العام للآية الكريمة.

المبحث الثاني: ما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به .

المبحث الثالث: ما جرى على خلاف معهود لغة القرآن الكريم .

المبحث الرابع : ما جاء مخالفاً للنظم والتركيب .

المبحث الخامس: ما جاء مخالفاً للصرف .

المبحث السادس: ما جاء محمولاً على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل.

ثم كانت الخاتمة والنتائج .

فإن وفقت فبفضل من الله سبحانه، وإلا فحسبي أني قد اجتهدت ، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٢). والحمد لله في الأولى وفي الآخرة .

ـــ (تمهيد) ـــ

ماهية البدعة (*)

معنى البدعة في اللغة :

ورد في المعاجم اللغوية في مادة (بدع) : بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً : أنشأه على غير مثال سابق، وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه، وأَبْدَعَ بمعنى ابْتَدَعَ وتَبَدَّع ، يقال: أَبْدَعَ الرجل وابْتَدَعَ وتَبَدَّع: أتى ببِدْعةٍ أي بأمر مختلف لم يعرف من قبل. والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلاً، بمعنى: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، والبِدْعةُ: كلُّ مُحْدَثَةٍ، والبِدْعةُ بِدْعتان: بدعةُ هُدى، وبدْعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهو في حَيِّزِ الذَّمِّ والإنكار، وما كان واقعاً تحت عُموم ما نَدَبَ اللهُ إليه وحَضَّ عليه أو رسوله فهو في حيِّز المدح، وما لم يكن له مِثال موجود كنَوْع من الجُود والسَّخاء وفِعْل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي قد جعل له في ذلك ثواباً، فقال: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِ شيء) وقال في ضدّه: (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِ شَيْءٌ)(٣) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وفي حديث قيام رمضان: (نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ)(٤)، لما كانت من أفعال الخير سَمّاها بدعة ومدحها، بيد أن أكثر ما تستعمل البدعة عرفاً في الذم .

معنى البدعة في الاصطلاح :

البِدْعة: اسمٌ من ابتَدَع الأمرَ إذا ابتدأه وأحدثه ، ثم غلبتْ على ما هو زيادةٌ في الدين أو نقصان منه. أو ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة. أو الحدث في الدين بعد الإكمال،-ومنه الحديث: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدثَةٍ بِدْعَةٌ، وكل بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) (٥) .

أو هي ما استحدث في الدين بعد النبي من الأهواء والأعمال. أو هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي والمعاني كلها متقاربة .

ولما كان شرط التفسير الصحيح أن يكون مطابقاً للفظ من حيث الاستعمال، سليماً من التكلف، عرياً من التعسف، فإن الإمام الزمخشري يسمي ما كان على خلاف ذلك بدع التفاسير، ولعله أول من أطلق هذا الوصف على التفسير المبتدع الخارج عن القواعد المعتبرة في التفسير الصحيح .

ولقد اتضح من خلال تلك الدراسة أن هذا الوصف قد استعمل فيما يخالف السياق، وما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به، وما جرى على خلاف معهود لغة القرآن، وما جاء مخالفاً للنظم والتركيب، وما جاء أيضاً مخالفاً للصرف، وما جاء محمولاً على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل، وهو ما سيأتي بيانه في المباحث التالية:

ومنهم من أبطله كالرازي والشوكاني ، يقول الرازي: " وهذا الوجه باطل باتفاق عامة المفسرين ..." (٢٢).

ويقول الشوكاني: "ولا شك أن هذا باطل لا يدل عليه شرع ، ولا لغة ، ولا عقل "(٢٣).

واستنادًا إلى أقوال المفسرين وحكمهم على هذا القول بأنه من البدع مرة ، وشاذ مرة أخرى ، وبعيد مرة ثالثة ، ثم الحكم عليه بالبطلان شرعاً ولغة وعقلا فإن القول بأن المراد أدها تذكرها إن نسيت لاشك هو الصحيح والأقرب إلى الصواب والأولى بالقبول، وهو أيضاً الذي عليه جمهور المفسرين .

هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثالث

قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (٢٤).

اختلف المفسرون حول معنى كلام الله تعالى لموسى في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٢٥): أنّ (كَلَّمَ) من (الكَلْم)، وهو الجرح .

وقد جعله الإمام الزمخشري من بدع التفاسير حيث يقول : " ومن بدع التفاسير أنه من الكلْم، وأن معناه: وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن" (٢٦)، ونقل عنه ذلك أبو حيان(٢٧).

ولعلّ الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه؛ لأن هذا المعنى لا يتسق والمعنى العام للآية الكريمة، ومن ثم فإنه يعد من التفسيرات الخاطئة التي يتعمد أصحابها تحريف الكلِم عن بعض مواضعه حتى لا يضطروا إلى الاعتراف بنسبة الكلام إلى الله تعالى، وهذا ما أبطله جماعة من العلماء كابن تيمية(٢٨)، وابن القيم (٢٩)، وابن عبد الهادي(٣٠) والزركشي، والفخر الرازي، وابن عادل(٣١)، يقول الزركشي: " ولقد سخف عقل من تأوّله على أنه كلّمه بأظفار المحن، من الكلْم وهو الجرح" (٣٢)، ويقول الرازي: " وهذا تفسير باطل " (٣٣).

ومن الواضح أن مثل تلك التفسيرات الخاطئة أو الباطلة تعد من أقوال بعض المعتزلة الذين ينكرون صفة الكلام للذات الإلهية، ومع أن الإمام الزمخشري معتزلي المذهب إلا أنه خالفهم في ذلك، يقول صاحب الانتصاف: " وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام، لا بذات الله تعالى إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفاً وأصواتاً قائمة ببعض الأجرام، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف، فيضطر المعتزلي إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الإمام الزمخشري وأنصف : إنه لمن بدع التفاسير التي يدبو عنها الفهم ، ولا يبين بها إلا الوهم " (٣٤). هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الرابع

قولـــه تعـــالى :﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣٥).

اختلف المفسرون حول معنى (القلب السليم) وكانوا في ذلك على عدة أقوال، منها (٣٦).

الأول : أن السليم هو اللديغ من خشية الله تعالى ، المنزعج من مخافة القطيعة ، وهذا قول الجنيد .

الثاني : أنّ السليم هو الذي سَلِمَ وسلُم وأسْلَم وسالم واستسلم .

وهذان القولان ضعفهما الإمام الزمخشري؛ حيث قال: " ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم (السليم) بـ اللديغ من خشية الله . وقول آخر: هو الذي سَلِمَ وسلُم وأسْلَم وسالم واستسلم " (٣٧).

والحق أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في تضعيف القول الأول ؛ لأنه على الرغم من أن إطلاق لفظ السليم على اللديغ أمر شائع ومطرد في اللغة إلا أن السياق العام للآية الكريمة يأبى هذا المعنى(٣٨).

على حين جانبه الصواب في القول الثاني(٣٩)؛ وذلك لأن معناه كما يقول الألوسي : " هو الذي سلم من الشرك والمعاصي، وسلم نفسه لحكم الله تعالى ، وسالم أولياءه وحارب أعداءه ، وأسلم حيث نظر فعرف ، واستسلم وانقاد لله تعالى وأذعن لعبادته سبحانه " (٤٠) .

وبهذا المعنى الجميل من الألوسي أرى – والله أعلم – أنه نأى بهذا القول عن حكم الإمام الزمخشري عليه بأنه من بدع التفاسير .

هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ (٤١) .

اختلف المفسرون في المراد بـ (الأرض) التي لم توطأ في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ وكانوا في ذلك على عدة أقوال ، منها(٤٢): أن (الأرض) هنا كناية عن النساء، والمراد من الوطء : الجماع ؛ لأنه لما قال أرضهم وديارهم كفى في البلاد ، وأرضا لم تطؤها يعني النساء(٤٣)، وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم" (٤٤).

والحق أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في تضعيفه هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لما فيه من اعتساف بيّن ينأى باللفظ عن السياق العام للآية الكريمة؛ حيث انتقل فكر قائله من وطء الأرض إلى وطء الفرج ، وهذا معنى مستبعد تماما .

وقد تبع الإمام الزمخشري في ذلك أبو حيان ، والخطيب الشربيني، والألوسي(٤٥)، وقال النيسابوري : " وعن بعضهم : أراد نساءهم ، وهو غريب " (٤٦). هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع السادس

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (٤٧).

اختلف المفسرون حول معنى قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٤٨): أن الفرج هنا جيب قميصها، منعته من جبريل ﷺ لما قرب منها لينفخ فيه حيث لم يُعرف .

وقد حكم عليه الإمام الزمخشري بقوله : " ومن بدع التفاسير : أنّ الفرج هو جيب الدرع ، ومعنى أحصنته : منعته جبريل ، وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج(٤٩) والتي لا زوج لها ، تسلية للأرامل وتطييباً لأنفسهنّ " (٥٠)، وتبعه في هذا الحكم: الألوسي، وإسماعيل حقي(٥١)، وقال الثعالبي : " وقالت فرقة : الفرج هنا هو فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك ، وهذا قول ضعيف" (٥٢) ، وقال الشنقيطي: " وقول من قال : إن فرجها الذي نفخ فيه الملك هو جيب درعها ظاهر السقوط ، بل النفخ الواقع في جيب الدرع وصل إلى الفرج المعروف فوقع الحمل " (٥٣).

وعلى الرغم من تضعيف هؤلاء المفسرين لهذا القول فقد استظهره بعضهم وذكروه بصيغة الجزم والقطع(٥٤)، بل إن منهم مَنْ حسّنه ولم يذكر سواه(٥٥)، يقول الزركشي: " أخطأ من توهم هذا الفرج الحقيقي، وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها، وهي كناية عن فرج القميص، أي لم يعلق ثوبها ريبة، فهي طاهرة الأثواب، ولفروج القميص أربعة: الكمّان، والأعلى، والأسفل، وليس المراد غير هذا، فإن القرآن أنزه معنى، وألطف إشارة، وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل؛ لاسيما والنفخ من روح القدس، بأمر القدوس، فأضيف القدس الى القدوس، ونُزّهت القانتة المطهرة عن الظن الكاذب " (٥٦)، وقد أشار إلى ذلك المعنى إسماعيل حقي في تفسيره (٥٧).

والحق أن الآية تحتمل المعنيين جميعا ، وعليه فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في الحكم على أن المراد بالفرج هنا هو جيب قميصها بأنه من بدع التفاسير ، وإن كان القول بأن المراد الفرج على حقيقته هو الراجح عندي ، وهو الذي عليه جمهور المفسرين ؛ لأنه يبرئ السيدة مريم العذراء مما رماها به اليهود وينزهها، ويبين عفتها وطهارتها تصديقاً لقوله ﷻ على لسانها : ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (٥٨). هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع السابع

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ (٥٩).

اختلف المفسرون حول معنى (اليتيم) الوارد في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال ، أحدها (٦٠): أنه من قول العرب: (درّة يتيمة) ، والمعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك وتُسبّ لمجاهد (٦١).

وقد ضعّفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير أنه من قولهم: (درّة يتيمة) وأن المعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك " (٦٢)، وحكاه عنه أبو حيان، والخطيب الشربيني، والألوسي، وإسماعيل حقي(٦٣)، كما ضعفه أيضاً بعض المفسرين كالشوكاني، والخطيب، يقول الشوكاني: " وهو بعيد جدًا " (٦٤) ويقول الخطيب الشربيني : " وهذا خلاف الظاهر من الآية " (٦٥) .

والحق أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه من تضعيف هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لبعده عن المعنى العام للآية الكريمة ، ومخالفته لظاهر الآية ، ولما هو معهود في لغة القرآن الكريم ، ولعلّ القول بأن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه هو ما تميل إليه النفس، فهو الأرجح والأولى بالقبول ، وهو ما عليه جمهور المفسرين . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثامن

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ (٦٦).

قرأ العامة ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ بفتح الصاد وسكون الباء ، وهو فعل الأمر من (النَّصَب) الذي هو التعب بعد الاجتهاد، ولا خلاف على هذا بين القرّاء .

وقرأ بعضهم بكسر الصاد ، وعلى ذلك يكون المعنى: فإذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة ، وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن البدع: ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ: (فانصِبْ) بكسر الصاد، أي: فانصب علياً للإمامة، ولو صحّ هذا للرافضي لصحّ للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمراً بالنَّصْبْ الذي هو بغض عليّ وعداوته" (٦٧).

ولعل الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه، وهذا ما أكده المفسرون، يقول ابن عطية: " وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى، لم تثبت عن عالم" (٦٨)، ونقله عنه أبو حيان، والسمين الحلبي وابن عادل(٦٩)، وقال ابن العربي: " ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية (فأنصِب) بكسر الصاد والهمز من أوله، وقالوا : معناه: انصب الإمام الذي تستخلفه، وهذا باطل في القراءة، باطل في المعنى؛ لأن النبي ﷺ لم يستخلف أحدا " (٧٠). هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع التاسع

قوله:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ (٧١).

اختلف المفسرون حول معنى (الخوف) الذي آمنهم منه الله ﷻ في هذه الآية الكريمة، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٧٢) : أنّ المقصود : آمنهم من أن تكون الخلافة إلا فيهم .

وهذا القول غير مناسب لمعنى الآية ، بل هو بعيد ، ومن ثم ضعفه الإمام الزمخشري وجعله من بدع التفاسير؛ حيث نص على ذلك بقوله: " ومن بدع التفاسير: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ ، من أن تكون الخلافة في غيرهم " (٧٣)، وقال النيسابوري : " وقيل : من أن تكون الخلافة في غيرهم وفيه تكلف " (٧٤)، وقال الألوسي: " وحكى الكرماني في غرائب التفسير أنه قيل في قوله تعالى : ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أن الخلافة لا تكون إلا فيهم وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى" (٧٥)، وذكره الماوردي، والقرطبي، وابن عادل بدون تعقيب (٧٦).

ولعل الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه ، وكان محقاً في تضعيف هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لمخالفته للمعنى العام للآية الكريمة . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الثاني

ما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به.

الموضع الأول

قوله:﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ (٧٧).

اختلف المفسرون حول حقيقة الرعد ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٧٨): أن الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم .

وقد جعل الإمام الزمخشري هذا القول من البدع ؛ حيث يقول : " ومن بدع المتصوّفة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم" (٧٩)، وذلك ظناً منه أن هذا هو المعنى الظاهري للمراد من اللفظ، بيد أن الألوسي اعترض عليه بقوله: " وجعل الإمام الزمخشري هذا من بدع المتصوفة، وكأني بك تقول: إن أكثر ما ذكر في باب الإشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل، والجواب: إنا لا ندعي إلا الإشارة، وأما أن ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى فمعاذ الله تعالى من أن يمر بفكري، واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد، والجهل الذي ليس عليه مزيد ، وقد نص المحققون من الصوفية على أن معتقد ذلك كافر ، والعياذ بالله تعالى " (٨٠) .

وأرى أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه؛ لأن القاعدة العامة في تفسير الآيات القرآنية أن تفسّر أولاً تفسيراً لفظياً ظاهرياً، ويذكر المعنى على هذا، ثم بعد ذلك يذكر المعنى الباطني أو الإشاري، أما أن يذكر المعنى الإشاري وحده على أنه هو المفهوم من اللفظ القرآني فليس من الصواب .

وعلى أية حال فإنه ينبغي أن نؤمن بتسبيح الرعد ، سواء أكان الرعد اسما لملك من الملائكة ، أو اسما لذلك الصوت المخصوص ، أما كيفية هذا التسبيح فيعلمه الله

وبناءً عليه فإن النفس تميل إلى القول بأن الرعد اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب ؛ وذلك لأمرين :

أحدهما: الحديث الوارد في هذا الشأن، والذي أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عَبَّاسٍ حيث قال:« أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النبي ﷺ فَقَالُوا : يا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عن الرَّعْدِ ما هو؟ قال: مَلَكٌ من الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، معه مَخَارِيقُ(٨١) من نَارٍ يَسُوقُ بها السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ الله ، فَقَالُوا : فما هذا الصَّوْتُ الذي نَسْمَعُ ؟ قال: زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إذا زَجَرَهُ حتى يَنْتَهِيَ إلى حَيْثُ أُمِرَ. قالوا : صَدَقْتَ » (٨٢).

والثاني: أن هذا القول هو ما عليه أكثر المفسرين(٨٣)، وجمهور أهل الفقه والحديث، وإن كان بعضهم قد رجح القول بأنه اسم لهذا الصوت المخصوص(٨٤)، ورجح آخرون القول بأن المراد بتسبيح الرعد تسبيح من يسمعه (٨٥) . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ... ﴾ (٨٦) .

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ ٱلنَّحْلِ ﴾ الوارد في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٨٧) : أنّ المراد بالنحل عليّ وقومه، وهذا على سبيل المجاز ، وهو ما ضعفه الإمام الزمخشري واستبعده بقوله: " ومن بدع تأويلات الرافضة : أن المراد بالنحل عليّ وقومه ، وعن بعضهم(٨٨) أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم ، فضحك المهدي وحدث به المنصور ، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم" (٨٩)، ولقد حكاه عنه النسفي، والألوسي(٩٠)، وذكره ابن حزم في الإحكام (٩١)، والأصفهاني في الأغاني(٩٢)، وصاحب معاهدة التنصيص(٩٣)، دون نسبة إلى الزمخشري.

ولعل الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في رده هذا القول ، ووصفه بهذا الوصف ؛ لأن فيه خروجاً عن النص بالكلية ، لا يقبله منطق ولا عقل ، ولا يستند إلى شيء من نقل .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثالث

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٩٤) .

اختلف المفسرون حول مكان ﴿ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ الذي وُعد فيه موسى بلقاء الخضر ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٩٥): أن البحرين كناية عن موسى والخضر؛ لأنهما بحران في العلم، والمراد ببلوغهما مكان يتفق فيه اجتماعهما ، وهو قول جماعة من المفسرين .

وقد استبعد الإمام الزمخشري هذا القول وعدّه من بدع التفاسير، حيث يقول : "ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم " (٩٦) .

وتبعه في ذلك جماعة من المفسرين كابن عطية، وأبوحيان، والقرطبي، والنيسابوري، والشوكاني، والألوسي، وابن حجر ؛ حيث ردوه أبلغ رد (٩٧).

والحق أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في تضعيف هذا القول واستبعاده؛ وذلك لأنه قد لُجئ باللفظ من الحقيقة إلى المجاز بدون مقتضٍ مما جعله في غاية البعد عن المعنى المراد، يقول الغماري: " ما يحكيه القرآن عن السابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا، فإننا لا ندري هل كان في لغة موسى التي خاطب بها فتاه إطلاق البحر على العالِم مجازاً أو كناية كما في لغة العرب ؟ وعلى هذا فالمتيقن في ﴿

مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ هو المعنى الحقيقي الذي ذكره المفسرون جميعهم ، وما عداه من بدع التفسير حتما " (٩٨).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المفسرين قد اقتصر على القول بأنه بحر فارس والروم فحسب ، ولم يرو غيره(٩٩)، قال ابن عجيبة: " وهذا مذهب الأكثر" (١٠٠)، وذهب مقاتل بن سليمان إلى القول بأنه-عند طنجة(١٠١)، واختار صاحب التبيان القول بأنه بحر ملح وبحر عذب ، حيث يقول:" مجمع البحرين أي العذب والملح" (١٠٢).

على حين اقتصر بعضهم على القول بأنه كناية عن موسى والخضر – مع ما فيه من خلل واضح وابتعاد به عن المعنى المراد – بلا تعقيب ولا رد ، وهذا بلا شك يترتب عليه خطأ كبير في تفسير الآية الكريمة .

ولعله كان من الأحرى بالمفسرين ألا يجهدوا أنفسهم في أمر سكت عنه القرآن؛ لأنه لا طائل من ورائه؛ لأنهم نسوا أو تناسوا أن القرآن الكريم دائماً يركز على مواطن العبرة والعظة، وعلى كل ما فيه فائدة، وما لم يكن كذلك فالقرآن يغفله، وتعيين مجمع البحرين لم يذكره القرآن؛ حيث لا فائدة من ذكره، فلا داعي إذن لاختلاف المفسرين حول هذا الأمر، وخاصة أنه لا يوجد عليه دليل من كتاب ولا سنة.

يقول الرازي: " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك ، وإلا فالأولى السكوت عنه" (١٠٣)، وكذلك قال ابن عادل(١٠٤)، وقال الشنقيطي: " ومعلوم أن تعيين ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ من النوع الذي قدمنا ، أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، وليس في معرفته فائدة ، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته ، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه " (١٠٥).

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الرابع

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾ (١٠٦).

اختلف المفسرون حول مرجع الضمير والمراد بالحجاب في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾، وكانوا على عدة أقوال، أحدها(١٠٧) : أن الضمير يرجع إلى الشمس ، والحجاب اسم لجبل دون قاف تغرب الشمس من خلفه .

وهذا القول استبعده الإمام الزمخشري ورده بقوله : " ومن بدع التفاسير: أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة ، تغرب الشمس من ورائه " (١٠٨).

وقد أحسن الإمام الزمخشري في تعقبه هذا القول ورده ، وبذلك فقد جانبه الصواب في ذلك .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن القول بأن الحجاب اسم لجبل يعد من قبيل الإسرائيليات التي لا أساس لها من الصحة إلا أن بعض المفسرين كالبغوي، والثعلبي، والخازن، والقرطبي قد ذكروه ولم يتعقبوه(١٠٩).

أما الألوسي فقد حكاه وتعقبه بالبطلان ، حيث يقول : " والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس ، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات ، فلم يشاهدوا ذلك " (١١٠).

ولا شك أن القول بأنه لا وجود لمثل هذا الجبل المزعوم يعد بحق نظرة منصفة، فإننا قد وقفنا الآن على كثير من الحقائق العلمية والكونية في الفضاء الكوني الرحيب ، وهذا يجعلنا نؤكد أن حكاية هذا الجبل يعد خرافة بحق ؛ حيث لا ينهض على صحتها دليل علمي أو ديني ، إذ كيف يخفى على علماء الجغرافيا وسفن الفضاء التي تدور حول

زَوَّجْتُها مِنْ بَناتِ الأَوْسِ مُجْزِئةً للعَوْسَجِ اللَّدْنِ في أبياتِها زَجَلُ (١٢٣)

ويعلق الإمام الشنقيطي على قول ابن منظور بقوله : " وظاهر كلامه هذا الذي نقله عن الزجاج أن قولهم : أجزأت المرأة إذا ولدت الإناث معروف ؛ ولذا ذكره، وذكر البيت الذي أنشده له أبو حنيفة كالمسلم له" (١٢٤).

وعلى ذلك فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ادعاه من أن تفسير الجزء بالإناث من بدع التفاسير ؛ وذلك لأن الجزء وإن لم يكن في الأصل بمعنى الإناث إلا أن أهل اللغة استنبطوا هذا المعنى من تلك الآية الكريمة ؛ لأنه فيها بمعنى الولد المفسر بالإناث ، كما يدل على ذلك سياق الآيات . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الثالث

ما جرى على خلاف معهود لغة القرآن .

الموضع الأول

قوله : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾(١٢٥).

اختلف المفسرون في تعيين المنادى في قوله تعالى على لسان السيدة مريم : ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ وكانوا في ذلك على قولين، أحدهما(١٢٦) : أنه نداء لجبريل عليه السلام ، وهو قول الثعلبي، والبغوي، والخازن، والقرطبي، وابن عادل .

وقد عدَّه الزمخشري من بدع التفاسير؛ حيث يقول: " ومن بدع التفاسير أن قولها : ﴿ رَبِّ ﴾ نداء لجبريل عليه السلام بمعنى: يا سيدي "(١٢٧).

وقد حكاه عنه الخطيب الشربيني(١٢٨) واستبعده أبو حيان والألوسي، يقول أبو حيان: " ومن ذهب إلى أن قولها : (ربِّ) ... إنما هو نداء لجبريل لما بشرها ، ومعناه : يا سيدي فقد أبعد" (١٢٩) ، ويقول الألوسي: " وقيل: القائل جبريل عليه السلام وليس على سبيل الحكاية ، والقرينة عليه ذكر الملائكة عليهم السلام قبله ، وحمل ﴿ رَبِّ ﴾ فيما تقدم على ذلك أبعد بعيد " (١٣٠) .

بيد أنه على الرغم من نسبة ابن الجوزي القول بأنه نداء لله ﷻ لجمهور المفسرين ، واستبعاد بعضهم القول بأنه نداء لجبريل عليه السلام إلا أنني أرى أنه قول له وجهته المعتبرة ، وليس ثمة مانع من قبوله شرعاً أو عقلاً، فقد قال به مفسرون ممن لهم مكانتهم بين أئمة المفسرين .

وعليه فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في عدِّه من بدع التفاسير . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

-قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣١) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (١٣٢) : أن معنى الآية الكريمة هو : فوقع قلوبهم بمعنى أنه أثّر فيها .

وقد ضعفه الإمام الزمخشري ووصفه بأنه من البدع ؛ حيث يقول: " ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم، أي فأثر فيها " (١٣٣) .

بيد أني أرى أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في ذلك ؛ لأن التأثير في القلوب إنما كان نتيجة لما فوجئوا به من ظهور الحق عليهم وبطلان سحرهم ، ويدعم ذلك قول الضحاك بن مُزاحم في تفسير تلك الآية : فوقع الحق أي فزعهم وصدّعهم (كوقع المِقمعة)(١٣٤)(١٣٥) .

الموضع الثالث

قوله ﷻ في حق موسى عليه السلام : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ (١٣٦) .

اختلف المفسرون حول معنى هذه الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها(١٣٧): أنّ المقصود بـ (الرَّهْب): الكُم بلغة حمير ، والمعنى: اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم؛ لأنه تناول العصا ويده في كمه، وهذا القول ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير: أنّ الرهب: الكُم، بلغة حمير ، وأنهم يقولون: أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة ؟ وهل سُمع من الأثبات الثقات الذين تُرتضى عربيتهم ؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية ؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات

التنزيل ؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زُرْمَانِقَةٌ(١٣٨) من صوف لا كُمَّي لها " (١٣٩) .

والإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما قاله ؛ لأن ذلك لا يتناسب وبلاغة التنزيل الحكيم ، وقد تبعه في ذلك القرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والخطيب الشربيني، وابن عادل، والألوسي (١٤٠).

وقد أكد ذلك النيسابوري بقوله: " وقيل: إن (الرَّهْب) هو الكُمّ بلغة حمير، وزيّفه النقاد" (١٤١)، وعلى الرغم من زيف هذا القول إلا أن بعض المفسرين قد ذكروه بدون تعليق عليه ولا تعويل على عدم صحته(١٤٢)، وهذا يترتب عليه خطأ كبير في تفسير الآية الكريمة.

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

حيث يقول الطبري: " فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجّة واضحة " (١٥١).

هذا، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (١٥٢) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ والموصوف بذلك ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها(١٥٣): أنه حال من فاعل ﴿ قُمْ ﴾ أول السورة ، والمراد بالنذير : محمدﷺ أي : قُمْ نذيراً للبشر ، أي : مخوفاً لهم . قاله الكسائي ، وأبو علي الفارسي، وروي عن ابن عباس ، وابن زيد ، واختاره الثعالبي(١٥٤)، وأنكره الفراء(١٥٥) ، وجاء في اللباب نقلاً عن ابن الأنباري ما نصه: قال بعض المفسرين: معناه: (يا أيها المدثّر، قُم نذيراً للبشر)، وهذا قبيح لطول ما بينهما (١٥٦)، ونقله عنه القرطبي، وابن عادل(١٥٧) ، ووصفه الإمام الزمخشري بقوله: " وهو من بدع التفاسير" (١٥٨)، وحكاه عنه الخطيب الشربيني وابن جزي (١٥٩).

والحق أن الزمخشري قد جانبه الصواب في استبعاده هذا القول وجعله من بدع التفاسير ؛ وذلك لقبحه نتيجة لطول الفصل بين العامل وهو الفعل (قم) في أول السورة وبين معموله وهو (نذيرا) ، ويدعم ذلك قول القرطبي : " وقال بعض المفسرين معناه : (يأيها المدثر قم نذيرًا للبشر) وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما " (١٦٠) ، ويقول أبو حيان : " ومن جعله متصلاً بـ (قم) في أول السورة ... فهو بمعزل عن الصواب " (١٦١) ، ويقول ابن جزي: " وقيل هو حال من هذه السورة ، أي : قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد " (١٦٢) .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الخامس

ما جاء مخالفاً للصرف .

الموضع الأول

قولـــه تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ (١٦٣) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله : ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ وكانوا في ذلك على عدة أقوال(١٦٤)، أحدها : أن الألوف جَمْعُ (آلِف) على وزن (فاعل) كشاهد وشُهود وقاعد وقُعود، أي: خرَجوا وهم مؤتلفون ، وهو قول ابن زيد ، واختيار ابن عرفة ؛ حيث يقول: " ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أي متآلفون مجتمعون ، خرجوا في وقت واحد فارين من الموت " (١٦٥).

وهذا القول ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " وهذا من بدع التفاسير" (١٦٦) ، وحكى ذلك عنه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل (١٦٧) .

بيد أن الرازي قد وجَّه هذا القول توجيها سائغًا حسناً ؛ حيث ذكر أن: " المراد كون كل واحد منهم آلفاً لحياته ، محباً لهذه الدنيا فيرجع حاصله إلى ما قال تعالى في صفتهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (١٦٨)، ثم إنهم مع غاية حبهم للحياة والفهم بها أماتهم الله تعالى وأهلكهم ، ليعلم أن حرص الإنسان على الحياة لا يعصمه من الموت ، فهذا القول على هذا الوجه ليس في غاية البعد " (١٦٩) .

ولعلّه بهذا التوجيه البديع قد اتضح المعنى ، وعلى هذا فالإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في تضعيف هذا القول وعدّه من بدع التفاسير .

والوجه الراجح والأولى بالقبول عندي هو القول بأن المراد به ليس إحصاء العدد على سبيل الحقيقة ، وإنما على سبيل المجاز لبيان الكثرة والمبالغة ؛ إذ إن القرآن الكريم لم ينص على عدد معين ، ولم يرد في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ يمكن الاستناد إليه.

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ (١٧٠) .

اختلف المفسرون حول المراد بـ (إمامهم) في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (١٧١): أن الإمام جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم .

وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله : " ومن بدع التفاسير : أن الإمام جمع أمّ ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم ، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وأن لا يفتضح أولاد الزنا ، وليت شعري أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟ " (١٧٢) .

ولعلّ الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في الحكم عليه بأنه من بدع التفاسير؛ وذلك لأن جمع (أم) أمات وأمهات ، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب جعلها الله ﷻ شرفاً له وآية ، ولم يذكره الله في القرآن إلا منسوباً لأمه ، تنبيهاً لعابديه على أنه مخلوق، وإظهار شرف الحسن والحسين لا يحتاج إلى هذه الحكمة المخترعة ، وأولاد الزنا إن كانوا صالحين فلا يضيرهم أن يدعوا بأمهاتهم ، بل إن بركة صلاحهم هي التي تنفعهم في ذلك الموقف العظيم فلا يفضحهم الله تعالى .

وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين ؛ حيث تعقبه بعضهم مبيّناً فساده وبطلانه(١٧٣)، على حين حكاه بعضهم بلا تعقيب ، ولا بيان بطلان(١٧٤)، واكتفى بعضهم بتعليق الإمام الزمخشري عليه (١٧٥) ، واعتمده بعضهم كالبيضاوي ؛ حيث وجهه

العدد الأول / يناير - ٢٠١٣م

— (الهوامش) —

١- (١) سورة يوسف ، الآية [٢] . (*)انظر بدع التفاسير لأبي عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ، ط٢ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م . (٢) سورة هود ، الآية [٨٨] .

(*) انظر على سبيل المثال:كتاب العين واللسان والقاموس والتاج والمغرب في ترتيب المعرب ومعجم مقاييس اللغة ومختار الصحاح والمعجم الوسيط ، مادة (بدع) ، والتعريفات للجرجاني ص٦٢ ، والتحرير والتنوير ٢٨/١ .

(٣) أخرجه الإمام الدارمي في سننه ٤٤٣/١ حديث رقم [٥٢٩] .

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١٥٩/٢ حديث رقم [٣٧٨] .

(٥) أخرجه الإمام أبو داود في سننه ٦١٠/٢ حديث رقم [٤٦٧] .

(٦) سورة البقرة ، الآية [١٨٧] .

(٧) والأخرى: أن المعنى: واطلبوا ما قسم الله لكم، وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة. وقيل: المراد النهي عن العزل؛ لأنه في العرائر. وقيل: المعنى وابتغوا المحل الذي أحله الله لكم دون المحل المحرم. وقيل: المعنى وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر. وقيل: المقصود هو القرآن. وقيل: المراد بما كتبه الله الزوجة والمملوكة. انظر: جامع البيان للطبري٥٠٦/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم٣١٧/١، والكشاف للزمخشري٢٥٧/١ ، والبحر المحيط لأبي حيان٥٧/٢ ومفاتيح الغيب للرازي٩٢/٥، وتفسير ابن كثير٥١٢/١، واللباب لابن عادل٣١١/٣ ، وكتاب تحفة المودود لابن القيم ٨/١ .

(٨) الكشاف ٢٥٧/١ . (٩) انظر البحر المحيط ٧٥/٢ .

(١٠) انظر مفاتيح الغيب ٩٣/٢ . (١١) المصدر السابق .

(١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٧ .

(١٣) سورة البقرة، الآية [٢٨٢] .

(١٤) والآخر: أن المراد أن تُذكّر إحداهما الأخرى إن نسيت ، وهو ما عليه أكثر المفسرين . انظر: جامع البيان٦٧/٦، وتفسير ابن أبي حاتم٥٦٢/٢ ، النكت والعيون٣٥٦/١، والدر المصون٦٦٢/٢، وزاد المسير ٣٢٨/١ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي٢٦١/٢ ، ومفردات الراغب ص٢٠١ .

(١٥)انظر غريب الحديث للخطابي٩٨/٢.

(١٦)انظر زاد المسير ٣٢٨/١ . وهو محمد بن الحسين بن محمد الفقيه الحنبلي .

(١٧) الكشاف ٣٥٣/١ .

(١٨) انظر الدر المصون ٦٦٣/٢ ، واللباب٤٧٥/٤، والسراج المنير ٢١٥/١ .

(١٩) انظر على سبيل المثال : الكشف والبيان ٢٩٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٣٥١/١ ولباب التأويل ٣٠٧/١ ، وغرائب القرآن ٧٥/٢ ، والمحرر الوجيز ٣٨١/١ ومعاني النحاس ٣١٨/١ .

(٢٠) انظر اللباب في علوم الكتاب ٤٧٥/٤ ، والدر المصون ٦٦٣/٢ .

(٢١) تفسير ابن كثير ٧٢٤/١ . (٢٢) مفاتيح الغيب ١٠٠/٧ .

(٢٣) فتح القدير ٣٠٢/١ . (٢٤) سورة النساء ، الآية [١٦٤] .

(٢٥) والأخر : أنْ (كَلَّمَ) بمعنى (حَدَّثَ) فالكلام إذن هو الحديث. انظر: تفسير مقاتل ابن سليمان٢٧١/١ ، ومعالم التنزيل ٣١١/٢، ومدارك التنزيل ٣٨٢/١، وتفسير ابن كثير ٤٧٣/٢، وبحر العلوم٣٨٢/١، والكشاف٦٢٤/١، والسراج المنير ٢٧٧/١، والمحرر الوجيز ١٦١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن٦٤٢/٣، والبحر المحيط٤١٤/٣، وزاد المسير ٢٥٦/٢، وفتح القدير ٥٣٨/١، وروح المعاني١٨/٦، .

(٢٦) الكشاف ٦٢٤/١. (٢٧) انظر البحر المحيط ٤١٤/٣.

(٢٨) انظر مجموع الفتاوى١٦٥/٣. (٢٩) انظر الصواعق المرسلة ٢١٧/١ .

(٣٠) انظر العقود الدرية ص٢٢٨ . (٣١) انظر اللباب في علوم الكتاب١٣٠/٧ .

(٣٢) البرهان في علوم القرآن ٣٩٣/٢ . (٣٣) مفاتيح الغيب ٨٨/١١ .

(٣٤) الانتصاف٥٧٧/١. (٣٥) سورة الشعراء، الآيتان [٨٨ ، ٨٩] .

(٣٦) والأخرى: أنه السليم من الشرك. وقيل: السليم من الشك. وقيل: السليم من آفات المال والبدن. وقيل: السليم من البدعة المطمئن على السنة. وقيل: السليم هو الصحيح. وقيل: السليم هو الخالص. وقيل: لا يكون لعانا. وكلها متقاربة. انظر الكشف والبيان١٧١/٧، والجامع لأحكام القرآن ٤٩٢/٧، وفتح القدير ١٠٦/٤ وزاد المسير ١٣٠/٦ ، والنكت والعيون ٥٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٠/١٥ ، والسراج المنير ٤٠/٣ .

(٣٧) الكشاف ٣٢٦/٣ . (٣٨) وقد تبعه في ذلك أبو حيان وابن جزي والخطيب الشربيني والشوكاني. يقول أبو حيان: وقال الزمخشري: هو من بدع التفاسير وصدق" وقال الشوكاني: " وهذا تعريف

وتعكيس لمعنى القرآن". انظر: البحر المحيط٧/٢٥، والتسهيل٣/٨٧ ، والسراج المنير ٣/٤١، وفتح القدير ٤/١٠٦ .

(٣٩) ومن ثم فلم يتبعه فيه سوى الخطيب وحده انظر السراج المنير ٣/٤١

(٤٠) روح المعاني ١٩/١٠١ . (٤١) سورة الأحزاب، الآية [٢٧] .

(٤٢) والأخرى: أنها أرض خيبر . وقيل: أرض مكة. وقيل: أرض فارس والروم. وقيل: أرض اليمن. وقيل: المراد بها القلاع أنفسها. وقيل: المقصود بها ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة. وقيل: أرض بني النضير . وقيل: أرض بني قريظة. انظر: البحر المحيط ٧/٢١٩ ، وغرائب القرآن ٥/٤٥٧ والدر المنثور ٦/٥٩٢ ، واللباب ١٥/٥٣٢ ، وروح المعاني ٢١/١٨٠ .

(٤٣) انظر هذا القول في: اللباب ٦/٥٩٠ ، والمثل السائر ٢/١٩١ ، ونزهة الأعين النواظر ص١٧١ ، وشرح نهج البلاغة ٥/١٦ وتاريخ مكة المشرفة لأبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي ص٢٦٣ .

(٤٤) الكشاف ٣/٥٤٢ . (٤٥) انظر-البحر المحيط ٧/٢١٩ ، والسراج المنير٣/٢٩٨ وروح المعاني ٢١/١٨٠.

(٤٦) غرائب القرآن ٥/٤٥٧ . (٤٧) سورة التحريم ، الآية [١٢] .

(٤٨) والآخر: أن الفرج على حقيقته، وأحصنته: صانته من كل مباشرة شرعية أو غير شرعية. انظر: معالم التنزيل ٨/١٧١ ، والكشف والبيان ٩/٣٥٢ ، وتفسير ابن كثير ٨/١٧٣ ، والنكت والعيون ٣/٤٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن-١٠/١٠٧ ، والبحر المحيط ٦/٣١٢ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩/٢١٩ ، ونظم الدرر ٨/٦٠ ، والوجيز للواحدي ص١١١٤ ، ولباب التأويل ٧/١٢٣ ، وبحر العلوم ٣/٤٥٠ ، والبحر المديد ٤/٥٦٤ ، وتفسير الجلالين ص٤٣٩ .

(٤٩) يريد: امرأة فرعون . (٥٠) الكشاف ٤/٥٧٧ .

(٥١) انظر روح المعاني٢٨/١٦٤، وروح البيان١٠/٤٧. (٥٢) الجواهر ٣/٦٤ .

(٥٣) أضواء البيان ٣/٣٩٠. (٥٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن١٠/١٠٧، والمحرر الوجيز ٥/٣٠٩ ، واللباب ١٩/٢١٩ ، وروح المعاني ٢٨/١٦٤ .

(٥٥) انظر جامع البيان ٢٣/٥٠٠ . (٥٦) البرهان في علوم القرآن ٢/٣٠٥ .

(٥٧) روح البيان ١٠/٤٧ . (٥٨) سورة مريم ، الآية [٢٠] .

(٥٩) سورة الضحى ، الآية [٦] . (٦٠) والأخرى: أنّ أباه تُوفّي وهو جنين في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. وقيل: معناه ألم يجدك يتيما أَبَتْكَ المراضع فآواك من مرضعة تحنو عليك. وقيل: معناه راجع إلى معنى قوله ﷻ :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أي ليتولى الله تعالى أمره من صغره. وقيل: المعنى وَلَك يتيماً فآواك إلى صدف النبوة، ومشكاة الولاية. انظر: الكشاف٤/٧٧٢، وتفسير ابن كثير ٨/٤٢٦ ، ومفاتيح الغيب٣١/١٩٤، ولباب التأويل٧/٢٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٠/٥٨١ ، وفتح القدير٥/٤٥٨، والسراج المنير ٤/٤٠٣، والبحر المحيط٨/٤٨١، وروح المعاني ٣٠/١٦١ ، وأضواء البيان ٨/٥٥٩ ، وروح البيان ١٠/٣٥٢ .

(٦١) انظر الجامع لأحكام القرآن-١٠/٥٨١ ، وفتح القدير ٥/٤٥٨ .

(٦٢) الكشاف ٤/٧٧٢ . (٦٣) انظر البحر المحيط٨/٤٤٨ ، والسراج المنير٤/٤٠٣ ، وروح المعاني٣٠/١٦٢، وروح البيان ١٠/٣٥٢ .

(٦٤) فتح القدير٥/٤٥٨. (٦٥) السراج المنير٤/٤٠٣. (٦٦) الشرح، الآية [٧] .

(٦٧) الكشاف ٤/٧٧٧ ، وحكاه عنه السمين الحلبي، وابن عادل، وإسماعيل حقي. انظر الدر المصون١١/٤٩ ، واللباب٢٠/٤٠٣ ، وروح البيان ١٠/٤٦١ .

(٦٨) المحرر الوجيز ٥/٤٦٩ .

(٦٩) انظر البحر المحيط٨/٤٨٤ ، والدر المصون ١١/٤٩ ، واللباب ٢٠/٤٠٣ .

(٧٠) أحكام القرآن ٤/٤١٣ ، وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن ١٠/٥٩٣ .

(٧١) سورة قريش ، الآية [٤] .

(٧٢) والأخرى: أنّ هذا الأمن من الخوف كان بسبب دعوة الخليل إبراهيم. وقيل: إن العرب كان يُغير بعضهم على بعض ، ويسبي بعضهم بعضاً، فأمنت قريش ذلك لمكان الحرم. وقيل: المعنى شق على قريش السّفر في الشتاء والصيف، فألقى الله ﷻ في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً في السّفر، فخافت قريش منهم وظنّوا أنهم خرجوا لحربهم، فخرجوا إليهم متحرزين، فإذا هم قد جلبوا لهم الطعام، وأعانوهم بالأقوات، فكان أهلُ مكة يخرجون إلى جدة بالإبل فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين. وقيل: المقصود به هو أن قريشاً لما كذبوا النبي ﷺ دعا عليهم، فقال:« اللَّهُمَّ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» فاشتد القحط ، فقالوا: يا محمد، ادعُ الله لنا فإنا مؤمنون، فدعا لهم رسول الله ﷺ فأخصبت (تبالة) و (جرش) من بلاد" اليمن"، فحملوا الطعام إلى مكة ،

وأخصب أهلها. وقيل: المراد أنه آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل. وقيل: آمنهم من خوف الجذام. وقيل: آمنهم من خوف الطاعون والدخان. وقيل: آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام. وقيل: كفاهم أخذ الإيلاف من الملوك .انظر: جامع البيان٢٤/٦٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم١٠/٣٤٦٧ والسراج المنير٤/٦٨٨ولباب التأويل٧/٢٩٩، والنكت والعيون٦/٣٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن١٠/٦٩٣، والبحر المديد٨/٥٤٠ ، واللباب ٢٠/٥١٠.

(٧٣) الكشاف ٤/٨٠٧ ، وتبعه الخطيب الشربيني ، وإسماعيل حقي. انظر السراج المنير ٤/٦٨٨ ، وروح البيان ١٠/٥١٩ .

(٧٤)غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٥٧١ . (٧٥) روح المعاني ٣٠/٢٤١ .

(٧٦) انظر النكت والعيون ٦/٣٤٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٦٩٣ ، واللباب٢٠/٥١٠ .

(٧٧) سورة الرعد ، الآية [١٣] .

(٧٨) والأخرى: أن الرعد اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب. وقيل:الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص، وهو يسبح الله تعالى. وقيل: المراد بتسبيح الرعد تسبيح من يسمعه. وقيل: الرعد ريح تختنق بين السحاب. انظر: مفاتيح الغيب ١٩/٢١ ، والمحرر الوجيز ١/١٠٢ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٩ ، والسراج المنير ٢/١٦٦ ، والبحر المحيط ٥/٣٦٦ ، واللباب ١١/٢٧٤ ، والمحرر الوجيز ٣/٣٠٨ ، وروح المعاني ١٣/١١٨ ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ص٢٩٧ .

(٧٩) الكشاف ٢/٤٨٩ . وحكاه عنه الفخر الرازي، وأبو حيان، والنيسابوري، انظر : مفاتيح الغيب١٩/٢٢ ، والبحر المحيط ٥/٣٦٦، وغرائب القرآن ٤/١٤٧ . (٨٠) روح المعاني ١٣/١٣٧ .

(٨١) المخاريق: جمع مِخْراق، والمراد به هنا: آلة تزجُر بها الملائكة السحاب وتسُوقه. انظر لسان العرب ، مادة: (خرق).

(٨٢) سنن الترمذي ٥/٢٩٤ رقم [٣١١٧] ، وحسّنه الألباني .

(٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم١/٥٥ ، والكشف والبيان٥/٢٧٩ ، وتفسير مقاتل ابن سليمان٢/١٧٠ ، ومعالم التنزيل٤/٣٠٣، والسراج المنير٢/١٦٦ ، والوجيز ص٥٦٧، وروح البيان٤/٢٣١، ولباب التأويل٤/٩ ، وغرائب القرآن٤/١٥٧ ، ومعاني النحاس٣/٤٨٢ ، وبحر العلوم٢/٢٢٠،

١٧٣/٥ ، وغرائب القرآن ٣٤١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٥٢/٧ ، وزاد المسير ٢٢٠/٦ ، والتفسير الوسيط ٤٠٤/١٠.

(١٣٨) الزَّرْمَانِقَةُ: جبة صوف. انظر اللسان والقاموس والتاج ، مادة (زرم) .

(١٣٩) الكشاف ٤١٣/٣ .

(١٤٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦٥٣/٧، والبحر المحيط١١٢/٧، والدر المصون٦٧١/٨، والسراج المنير ١٤٤/٣، واللباب١٥/٢٥٠، وروح المعاني ٧٦/٢٠ . (١٤١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٤١/٥ .

(١٤٢) انظر: معالم التنزيل ٢٠٧/٦ ، والكشف والبيان ٢٤٩/٧ ، ولباب التأويل ١٧٣/٥ ، والنكت والعيون ٢٥٢/٤ . (١٤٣) سورة يوسف ، الآية [٩٩]

(١٤٤) والأخرى: أن المشيئة متعلقة بدخولهم مصر . وقيل: متعلقة بالأمن لا بالدخول. وقيل: (إنْ) هنا بمعنى (إذْ) الدالة على المضيّ، فالمراد: إذْ شاء الله .انظر: معالم التنزيل ٢٧٩/٤ ، والكشف والبيان ٢٥٨/٥ ، وجامع البيان ٢٦٦/١٦ ، والكشاف ٤٧٦/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٦٨/١٨ ، وتفسير ابن كثير ٤١١/٤ ، ولباب التأويل٣١٦/٣ ، وزاد المسير ٢٨٩/٤ ، واللباب ٢١٢/١١ ، والنكت والعيون ٨١/٣ ، وبحر العلوم ٢١٠/٢ ، ولباب التأويل ٣١٦/٣ ، والوجيز ص٥٦٠، وتفسير ابن كثير ٤١١/٤ ، والبحر المحيط ٣٤١/٥ ، وأنوار التنزيل ٣٠٩/٣ ، والسراج المنير ١٠٩/٢، وإرشاد العقل السليم ٣٠٧/٤ ، ونظم الدرر ٩٨/٤، وغرائب القرآن ١٢٥/٤ ، وروح المعاني ٥٧/١٣ ، وروح البيان ٢٠٨/٤ ، والتحرير والتنوير ١١٨/١٢ .

(١٤٥) سورة يوسف ، الآية [٩٨] . (١٤٦) انظر تفسير ابن جريج ص١٧٧، ومعاني القرآن ٤٥٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٩ .

(١٤٧) سورة يوسف، الآية [٩٨] . (١٤٨) الكشاف٤٧٦/٢.

(١٤٩) البحر المحيط ٣٤١/٥ . (١٥٠) انظر: المحرر الوجيز٢٨١/٣ ، وفتح القدير ٥٦/٣.

(١٥١) جامع البيان ٢٦٦/١٦. (١٥٢) سورة المدثر، الآية [٣٦]

(١٥٣) والأخرى: أنه تمييز من (إحدى الكبر) لتضمنها معنى التعظيم ، كأنه قيل : أعظم الكبر إنذاراً ، وقيل: إنه مصدر بمعنى الإنذار منصوب بـ (أنذر) أول السورة كأنه قال: إنذارًا للبشر، وقيل: إن (النذير) على وزن (فعيل) بمعنى (مُفْعِل) وهو حال من الضمير في ﴿ إِنَّهَا﴾، وقيل: حال من (إحدى)، وقيل: حال من الضمير في (إحدى) لتأويلها بمعنى العظم، وقيل: حالٌ من ﴿

ﱡﭐﱡ ﱡ آلْكِبَر﴾ ، وقيل: حالٌ من الضمير في ﴿ آلْكِبَر﴾ ، وقيل: مفعول به منصوب بإضمار: (أعني)، وقيل: أنّه منصوب على المفعولية بالفعل (ادع) مقدرًا ، على أن المراد به الله ﷻ ، وقيل: أنّه منصوب على المفعولية بفعل مضمر، على أن المراد به رسول الله ﷺ ، وقيل: منصوب على الحالية بما دلّت عليه الجملة، وقيل: حال من ﴿ هُوَ﴾ في قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقيل: مفعول لأجله ، الناصب له ما في ﴿ آلْكِبَر﴾ من معنى الفعل. انظر: اللباب ٥٢٩/١٩ ، ومشكل إعراب القرآن٧٧٤/٢، ومعاني الزجاج ٢٤٩/٥، والكشاف٦٥٥/٤، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٨ ، والبحر المحيط ٣٧٠/٨ ، ولباب التأويل١٧٩/٧، والنكت والعيون١٤٧/٦، والجامع لأحكام القرآن٢٨٥/١٠، والكشف والبيان٧٦/١٠ ، والمحرر الوجيز٣٦٩/٥ ،وفتح القدير ٣٣١/٥ .

(١٥٤) انظر الجواهر الحسان ٢٦٢/٤ . (١٥٥) معاني الفراء ٢٠٥/٣ .

(١٥٦) اللباب ٥٢٩/١٩ . (١٥٧) انظر الجامع لأحكام القرآن٢٨٥/١٠ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٢٩/١٩ . (١٥٨) الكشاف ٦٥٥/٤.

(١٥٩) انظر السراج المنير ٣١٦/٤ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٦٢/٤ .

(١٦٠) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٠ . (١٦١) البحر المحيط ٣٧٠/٨ .

(١٦٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٢/٤ . (١٦٣) سورة البقرة ، الآية [٢٤٣] .

(١٦٤) والأخرى: أن المراد منه بيان العدد على سبيل الحقيقة. وقيل: ليس بيان العدد على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز لإفادة المبالغة والتكثير. انظر: جامع البيان ٢٦٦/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٥٦/٢ ، والكشاف ٣١٧/١ والبحر المحيط ٢٥٩/٢، ومفاتيح الغيب ٤٩٥/٦ ، والنكت والعيون ٣١٢/١ ، وزاد المسير ٢٨٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٩/٢ ، والتفسير الوسيط ٥٥٦/١ .

(١٦٥) تفسير ابن عرفة ٦٩٢/٢ . (١٦٦) الكشاف ٣١٧/١ .

(١٦٧) انظر البحر المحيط ٢٥٩/٢ ، والدر المصون ٥٠٦/٢ ، واللباب ٢٤٧/٤.

(١٦٨) سورة البقرة ، الآية [٩٦] . (١٦٩) مفاتيح الغيب ٤٩٥/٦ .

(١٧٠) سورة الإسراء ، الآية [٧١] .

(١٧١) والأخرى: أنّ المقصود بـ (إمامهم): نبيهم، وقيل: كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم، وقيل: المراد به الأخلاق الباطنة الداعية إلى الأفعال الظاهرة. انظر: تفسير الضحاك ٥٣٢/١ ، والكشاف ٦٣٧/٢ ، ومدارك التنزيل ٤٦٦/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٤/٢١ ، وتفسير ابن كثير ٩٩/٥ ، ومعالم التنزيل ١٠٩/٥ ، والبحر المحيط ٦٠/٦ ، واللباب ١٧١/٤ ، والبحر المديد ١٠٩/٤ .

(١٧٢) الكشاف ٦٣٧/٢ .

(١٧٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/٦ ، وفتح القدير ٢٤٦/٣ ، وأضواء البيان ١٧٦/٣ ، والبرهان في علوم القرآن ٢٩٨/١ .

(١٧٤) انظر: الكشف والبيان ١١٦/٦ ، ومعالم التنزيل ١١٠/٥ ، وإرشاد العقل السليم ١٨٧/٥ ، ولباب التأويل ١٧١/٤ ، وأنوار التنزيل ٤٥٩/٣ .

(١٧٥) انظر: مفاتيح الغيب ١٥/٢١ ، والبحر المحيط ٦٠/٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٢/١٢ ، والدر المصون ٣٩٠/٧ ، وغرائب القرآن ٣٧٠/٤ ، والكليات لأبي البقاء ص١٨٦ .

(١٧٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٥٩/٣. وقال السمين: " وهو معذور؛ لأن (أم) لا يجمع على (إمام) هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب " الدر المصون ٣٩٠/٧ .

(١٧٧) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يدعى الناس بآبائهم، ص١١٩١ حديث رقم [٦١٧٨] .

(١٧٨) سورة الملك ، الآية [١٠] .

(١٧٩) والآخر: هو أن الكفار وهم في النار يقولون على سبيل التحسر والندامة والتوبيخ ومقتاً لأنفسهم بأنفسهم :﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ . انظر: معالم التنزيل٨/١٧٧، جامع البيان٢٣/٥١٠ ، والكشف والبيان٩/٣٥٨ ، وتفسير ابن كثير٨/١٧٨، ولباب التأويل٧/١٢٥، والكشاف٤/٥٨٣ ، ومعاني الزجاج ٥/١٩٩ ، والسراج المنير٤/٣٧٢ ، والبحر المحيط ٨/٢٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن١٠/١١٥ ، وبحر العلوم٣/٤٥٣ ، والتسهيل ٤/١٣٥ ، وأنوار التنزيل ٥/٣٦٣ ، والمحرر الوجيز ٥/٣١٣ ، وفتح القدير ٥/٢٦١ ، وروح المعاني ٢٩/١١ ، وفي ظلال القرآن ٦/٣٦٣٥ .

(١٨٠) انظر: مفاتيح الغيب ٣٠/٥٧ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٣٢٦

(١٨١) الكشاف ٤/٥٨٣ .

(١٨٢) التحرير والتنوير ٢٩/٢٥ .

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه الدراسة المستفيضة والمتأنية انتهى البحث إلى العديد من النتائج ، لعل أهمها :

* يعد الإمام الزمخشري أول من أطلق لفظ البدعة في كشافه على الأقوال التفسيرية الخاطئة .

* بلغ عدد المواضع التي عدّها الإمام الزمخشري من بدع التفاسير اثنين وعشرين موضعاً ، وقد تنوعت أساليبه وتعبيراته في الحكم عليها بذلك ؛ فمنها ما صرح فيها بهذا الوصف ، وذلك بقوله : (ومن بدع التفاسير) وهذا هو الأغلب الأعم ؛ حيث بلغت ثمانية عشر موضعا ، أما الأربعة الباقية فقد حكم على أحدها بقوله : (وهو قريب من بدع التفاسير) ، وعلى الثاني بقوله:-(من بدع المتصوفة) ، وعلى الثالث بقوله : (من بدع تأويلات الرافضة) وعلى الرابع بقوله : (ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة) .

* تابع كثير من المفسرين الإمام الزمخشري في أحكامه على هذه الأقوال بأنها من بدع التفاسير ؛ حيث إنهم نظروا عنه في تفسيرهم لهذه الآيات وضمنوها مصنفاتهم ، ومنهم على سبيل المثال: النيسابوري ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني ، والقرطبي ، وابن جزي ، والألوسي ، وابن عاشور ، وإسماعيل حقي .

* أرجع الإمام الزمخشري حكمه على أقوال من سبقوه بأنها من بدع التفاسير إلى عدة عوامل ، وهي : مخالفة ظاهر السياق وهو الأعم الأغلب ؛ وقد وردت في تسعة مواضع ، يليها ما يمكن تسميته : (ما لا عهد للعرب به) وبلغ عددها خمسة مواضع ، ثم ما جرى على خلاف معهود لغة للقرآن ، وقد بلغت ثلاثة مواضع ، ثم مخالفة النظم والتركيب ، وقد جاء ذلك في موضعين ، ومثله مخالفة الصرف ، أما المحمول على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل فقد جاء في موضع واحد .

* ذكر الإمام الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أن تفسير الصوفية الرعد بأنه : صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم ، من بدع التفاسير ، ظنا منه أن هذا هو المعنى الظاهري للآية، وهذا ما لم يقصده الصوفية، حيث يقول الألوسي : " وجعل الإمام الزمخشري هذا من بدع المتصوفة وكأني بك تقول : إن أكثر ما ذكر في باب الإشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل ، والجواب إنا لا ندعي إلا الإشارة ، وأما أن ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى

فمعاذ الله تعالى من أن يمر بفكري، واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد، والجهل الذي ليس عليه مزيد، وقد نص المحققون من الصوفية على أن معتقد ذلك كافر والعياذ بالله تعالى " .

* لم يتأثر الإمام الزمخشري بآراء المعتزلة في الحكم على أقوال من سبقوه بأنها من بدع التفاسير على الرغم من اعتناقه للمذهب الاعتزالي، بل إنه خالفهم في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ حيث إنهم يقولون: إن (كلم) من (الكلم) وهو الجرح وأن معناه : وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن . وهو ما رده الإمام الزمخشري عليهم ؛ لأن هذا القول يدعو إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الإمام الزمخشري وأنصف إنه لمن بدع التفاسير التي يأبى عنها الفهم ، ولا يبين بها إلا الوهم .

* أنكر ابن عاشور على الإمام الزمخشري قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ إن المراد من الآية كما ورد عن القدامى : لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي، مما جعله يحكم عليه بأنه من بدع التفاسير ، ويجزم ابن عاشور بأنه لم يجد أحدا من القدامى فسر الآية بمثل ما قاله الإمام الزمخشري، وبذلك أنكر عليه نسبة هذا القول إلى من سبقه من المفسرين .

* لقد كان الإمام الزمخشري محقاً في الحكم على أربعة عشر موضعاً ؛ حيث خالفه الصواب فيها ، على حين جانبه الصواب في سبعة مواضع ، وبقي موضع واحد ذكر المفسرون فيه تسعة أقوال ضعّف الإمام الزمخشري قولين منها وعدهما من بدع التفاسير ، والحق أن الصواب خالفه في أحدهما على حين جانبه في الآخر .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٤- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، تحقيق الشيخ أحمد عبد المقصود وآخرين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤٢٢هـ

٥- البحر المديد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٦- بدع التفاسير لأبي عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ، ط٢ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٧- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ .

٨- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت ، ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .

٩- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، دار الفكر – بيروت

١٠- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تحقيق سامي محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١١- تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م .

١٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .
١٣- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري ، تحقيق إبراهيم محمد الجمل ، دار القلم للتراث القاهرة.
١٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٦- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ١٤٠٤هـ .
١٧- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، بيت الأفكار الدولية – الدمام – المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
١٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، تحقيق زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
١٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .
٢٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل لأبي القاسم محمود ابن عمر الإمام الزمخشري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٢١- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م .

٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن إبراهيم الشهير بالخازن ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٢٤- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر وغيره ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م .
٢٥- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .